

نظرة

﴿ في كتب العهد الجديد وفي عقائد النصرانية ﴾

﴿ تابع ما قبله ﴾

(٨) جاء في انجيل متى ٢٢: ١٥ - ٢٨ أن امرأة كنعانية صرخت اليه ليشتفي ابنتها المجنونة وكانت تقول له « ارحمني يا سيدي ابن داود » فلم يجبها بكلمة فصارت تصيح وراءه حتى طلب تلاميذه منه صرفها فقال لهم (لم ارسل الا الى خراف اسرائيل الضالة) فجاءت وسجدت له قائلة « يا سيد أعني » فقال لها « ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » فقالت « نعم يا سيد . والكلاب ايضا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها » حينئذ شفي لها ابنتها بعد هذا العناء العظيم والألحاح الكبير . فانظر الى مقدار عطشه ورحمته بالضعفاء !! وهو الرجل الذي يقوون انه جاء لخلاص الناس أجمعين . ألا يدل ذلك على ان كل ما جاء في تعاليمه مما يفيد معنى الرحمة والمساعدة والأحسان الى الناس ما كان يريد به إلا امته اليهودية فقط لا غيرهم من الامم كما هو صريح عباراته في هذه القصة التي تندل على التساوة المتناهية حتى حركت اعمال المرأة عطف تلاميذه انفسهم قبله ولذلك طلبوا منه اجابة طلبها فأبى اولاً . فهذه هي اخلاق هذا الرجل الذي يمدح نفسه بقوله (مت ١١: ٢٩) (لاني وديع ومتواضع القاب) فهل يتفق هذا مع فطوره المرأة الكنعانية ؟ نعم هو وديع ومتواضع القاب ولكن مع من ؟ مع الأقوياء من امة اليهود (١) ومع الرومانيين حكماء وحكام أمته !! اما الضعفاء الاجانب فهم

(١) نعم انه لا ينس من اليهود أخذ يسبهم ويأخذهم بأفخس الاثفاظ كقوله (مت ٢٣: ١٣ - ٣٩) « أمم الراؤون والقادة السبان والجهال والحيات أولاد الافاعي » الخ وقوله لهم مت ٢١: ٣١ « ان المشركين والزواني (وهم الذين كان يجههم بنص الانجيل) أنظر مت ١١: ٥) يسبقونكم الى ملكوت الله » فهذا مثل آخر من أمثلة محبته لاعدائه . ولكن أندري ماذا حصل له بعد هذا السب مباشرة ؟ هم أخذوه وصلبوه =

(المنار - ج ١٦ م ٩) (٨٧) (المجلد السادس عشر)

عنده « كلاب » . فهذا هو بلوغ تعاليمه الداعية الى السلم والرحمة على غلوها احيانا . فهو نفسه كان يخصص بها اليهود رغما عن دعواهم الآت أنها للبشر اجمعين !! وهذه القصة تدل على أنه ليس باله لانه مقيد بارادة من أرسله كما يفهم من قواه (لم أرسل الا الى خراف اسرائيل الضالة) ولذلك تركها يوحنا كما دعته وأنى بتهمة المرأة السامرية وهي تغايرها بالارة (يو : ٤ : ٧ - ٣٥) وغرضه منها ان يظهر ان بتمته كانت عامة فقال انه كان يتكلم مع هذه المرأة السامرية ويطلب الشرب منها مع أن اليهود لا يهجز لهم بماءة السامريين حتى صار تلاميذه يتهيجون من ذلك . وهذه القصة - كغيرها مما تندم - تدل على تأخر زمن هذا الانجيل عن الانجيل التي قبله ولذلك أتى بها ليظهر ان بتمته ليست قاصرة على اليهود كما يفهم من قصة المرأة الكنعانية ومن (مت : ١٥ : ٥ و ٦) بل كانت للبشر كافة . اما قول متى ٢٨ : ١٩ (اذهبوا وتلذذوا جميع الامم) - فهو ان لم يكن اضافة متأخرة كقول مرقس بدعوة الخليقة كلها (١٥ : ١٦) الذي ثبت عندهم اضاقة أيضا كما سبق (في صفحة ٥٥) - فالمراد به ام اليهود كإتة فانهم - كما قال سفر الاعمال - كانوا في اورشليم وحدها من كل امة تحت السما - (أع ٢ : ٥ - ١٣) فإلا لك بمن كانوا في أرض اليهودية كلها ؟ ويؤيد هذا المعنى قول المسيح لتلاميذه مت ١٠ : ٢٣ « فاني الحق أقول لكم لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتي ابن الانسان » فهذه المدن كانت عندهم العالم كله كما اريناك سابقا (ص ١٤ من هذه الرسالة) وعلى ذلك يحمل قوله في مرقس ١٣ : ١٥ « ينبغي ان يركز اولاً بالانجيل في جميع الامم » وقوله في متى ٢٤ : ١٤ « في كل المسكونة لجميع الامم . ثم يأتي المنتهى » ولا تنس قول لوقا ٢ : ١ « صدر امر من أوغسطس قيصر بأن يكتب كل المسكونة » اي أرض اليهودية خاصة كما قال صاحب « كتاب الهداية » المسيحي في مجلد ٢ ص ٢٥٥ ، وغيره ومن أمثلة وداعته وتواضعه ورحمته غير ما تقدم ما جاء في انجيل متى (١٨ : ٢١)

= وأهانوه شراهان ثم قتلوه . فهذه نتيجة شجاعته أمام هؤلاء الاقوياء بهد يأسه منهم وفضله في أمره !! كل هذا قوله ونحن بريئون منه الى الله وانما نقوله الزاما للخصم واظهارا لما تاجر اليه قسص هذه الانجيل

و ٢٢) أن أحد تلاميذه مات أبوه فاستأذنه في الانصراف ليدفنه فلم يقبل وقال له « اتبني ودع الموتى يدفنون موتاهم » والظاهر من هذا القول ان أبا هذا التلميذ لم يكن مؤمنا به فلذا حتم عليه حتى بعد موته ومنع ابنه من الذهاب ليدفنه ولا ندري ماذا كان يفعل به لو قدر عليه وهو حي ؟ فهل هذا خلق الرجل الذي أمر غيره بمحبة الاعداء !! وقد داس بعمله هذا مع تلميذه على أمر التوراة باكرام الوالدين وأيضا بعمله مع أمه مريم ومخاطبته لها بقوله « يو ٢ : ٤ ما لي ولك يا امرأة ». ولكن كان في أول الأمر وخوفا من اليهود يقول لهم « مت ٥ : ١٧ لا تفتنوا اني جئت لأقضى الناموس أو الانبياء » فما أصدق كلامه هذا وغيره !! وهذه القصة تغاير أيضا أنها ما كان يريد بمعالجته الداعية الى السلم والرحمة والاحسان اليهود عامة كما قلنا من قبل تساهلا (ص ١٩١) بل كان يريد بها من آمن به فقط من اليهود واتبه ولذلك قال متى (١٢ : ٤٦-٤٩) إن أمه واخوته جاءوا مرة اليه ووقفوا خارجا طالبين أن يكلموه فأخبره واحد من تلاميذه بذلك فقال « من هي أمي ومن هم أخوتي ثم مديده نحو تلاميذه وقال لها أمي واخوتي لان من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي » يعني من آمن به فقط (١) ولذلك أمر أتباعه بمنع غيرهم

(١) الظاهر من هذه العبارة ومن غيرها في الانجيل أن مريم أمه وأخوته لم يكونوا به مؤمنين (انظر يو ٧ : ٥ ومر ٣ : ٢١) ، ولا عن أعماله واضحين ، فلذا حقد عليهم وكرههم حتى أمه ، وقد بلغ من قسوة قلبها عليه وجوده أنها ذهبت ووقفت عند الصليب لتتظر ابنها وفاتة كبدها وهو مصلوب !! (يو ١٩ : ٢٥-٢٧) فلما رآها يسوع مخاطبها مرة أخرى بقوله « يا امرأة » . فهذه هي أخلاق المرأة التي عبدها النصارى منذ القدم ، وهذه هي قيمتها عند ابنها . ولكن صورتها بحسب الانجيل تغاير صورتها بحسب القرآن الشريف الذي أثبت عليها مراراً وعظما وقال ان الله اصطفها وطمرها واصطفها على نساء العالمين وجعلها للناس آية . فالظاهر أن قصتها في الانجيل كما دسه اليهود على النصارى واشدته جهلهم وبيدهم عن التحصيل والتعقيق إذ ذاك دخلت عليهم العقلة وصدقوهم فيها كما دخلت عليهم في غير ذلك كثيراً وصدقوا قصصهم في فسق انبياء بني اسرائيل ومماصيهم الكيرة الكيرة وصاروا يدافعون عن هذه القصص الفظيعة ويصبرونها مقدسة الى الآن !! فحاشا لله =

كما سبق (لو ١٤ : ٢٦) فهل هذا هو الامر بالأهسان الى الناس كافة حتى
الاعداء ؟ ومتى عمل هو نفسه بذلك أو أتباعه الذين استغاثت الارض من سفكهم
دماء بعضهم بعضها لأقل الاسباب ودماء غيرهم من الأمم ينبرحق الى الآن .
ومن منهم أدار خذه الآخر للضار بين (مت ٥ : ٣٩) وأحب اعداءه ؟ أليست
هذه التلاميذ كلها جبراً على ورق، وهي مع ذلك غلو مذموم يخالف للعقل والعدل
والطبيعة البشرية، وإيجابها في جميع الاحوال، يؤد الى الفساد بطفان الاشرار وبشبه
همة الاصدقاء وتغييرهم اساساً وانهم بالاعداء فيهلون ولا يباليون . ومن منهم ترك
ما اعتادوه من الانفاس في الملاذ والشهوات والترف وباع كل ماله كما في لوقا
(١٨ : ٢٢) ووزعه على الفقراء ؟ واذا أطاع الناس هذا الامر أتصلح أحوال هذا
المجتمع ويتقدم الى الامام أم يبطل فيه كل عمل واختراع واكتشاف واجتهاد
مادامت الاموال كلها توزع من الاغنياء على الفقراء بلا عمل ولا حساب ؟ قال
ملحدوهم الظاهر ان يسوع ما أمر بذلك إلا حيلة ليتمكن هو وتلاميذه من أخذ
أموال الاغنياء ليعيشوا بها بلا عمل سوى التجول من مدينة الى أخرى صارفين في
حاجاتهم كلها من أموال غيرهم حتى من النساء (لو ٨ : ١ - ٣) كما هو شأن أهل
البطالة والكسل المتشردين ، واذا كان كل شيء ينال بالصلاة (كما قل في مت
١٨ : ١٩ و ٢٠) فما حاجته بعد الى أموال الناس التي كان يأخذها منهم ويحملها
في صندوقهم بهذا الاسخريوطي (يو ١٢ : ٦) ؟ فلماذا لم يترك المال لاهله ويسأل
أباه السماوي فيعطيه كل ما احتاج اليه هو وتلاميذه الفقراء الذين لا عمل لهم
بعد اتباعه (مت ٤ : ١٩ - ٢٤) سوى الاتفاق من المال الذي كان يلقى لهم في
الصندوق من الناس

فهذا شيء قليل من كثير مما أصبح بهض الافرنج يقولونه في المسيح . ومن
أراد أكثر منه فليقرأ مثل كتاب « الحقيقة عن يسوع الناصرة » المذكور آنفاً
(The Truth about Jesus of Nazareth) واني أستغفر الله من كل هذا

= أن يصطفي من خلقه الفسقة الزناة السكيرين الكذبة الجونة (تك ٢٦ : ٧ و ٢٧ : ١٩)
المكفرة (١ مل ١١ : ٥ و ٦) الاشرار كما صورهم اليهود لا ساخهم الله

وبما جاء في هذا الكتاب الانكليزي وغيره من تأليف ملحدني النصراني أنفسهم
وقال هؤلاء الملحدون أيضا « اذا صحح أن يسوع صدق في نبوة واحدة
من نبواته فهي قوله (مت ١٠ : ٣٤) (لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على
الارض . ما جئت لألقي سلاما بل سيفا) فان الارض لم تخضب بدم أكثر مما
خضبها به أتباعه منذ أن صارت لهم قوة ودولة ولم يصدر عن أمة في العالم ما صدر
من أمتهم حتى من رؤساء الدين منهم - (١) من ظلم الأبرياء والأذى والاضطهاد وسائر
انواع المفساد والمظالم حتى الآن كما هو مشاهد » أنظر مثلاً ص ١٣٠ و ١٣١ من
كتاب « الحقيقة عن يسوع الناصرة » ويقولون اذا كانت هذه ثمرة دينه في
الارض فبشت أشمته ، واذا كان ذلك كله مما فعله في ثلاث سنين وهو فقير حقير
ضعيف مضطهد (أمس ٥٣ : ٣) فكيف به لو كان أوتي عزا ومالا وجاهاً ومالكا
كبيراً وعمراً طويلاً . لذلك كفر به هؤلاء الناس وكفروا بدينه وبكل ما جاء به وألقوا
المؤلفات الضخمة في مطاعنهم وردودهم وصاروا اليوم يدعون الناس في أوروبا بجراً
إلى آرائهم وأفكارهم . فليتأمل في ذلك دعاة النصرانية الذين يطعنون وهم في
بلاد المسلمين (خوفاً من أن يسموهم ملحدوهم فيضحدكون منهم) يطعنون في محمد
بمطاعن ضعيفة واهية لاتعد شيئاً بالنسبة لما فعله المسيح وما يفعله الآن أتباعه كثيراً
كالإتمحار وشرب الخمر والربا والقمار وحب المال لدرجة إغناء فيه والفسق والخلاعة
والتبرج والزنا والقتل والظلم والانتفاص في اللذات والشهوات وغير ذلك مما أنت به إلى
بلادنا مدنيهم الأفريقية التي يسونها مسيحية ولا ينجحون ويظنون أن المسلمين ينجحون
من حكم الطلاق وتعدد الزوجات في الإسلام وجهاد الأعداء (٢) في سبيل الله بسبب
(١) ولذلك تراهم الآن ، وقبل الآن ، في كل زمان ومكان ، يباركون الحيوان ،
ويدعون « يسوع » لأجلها ، ويصلون فرحاً بانتصاراتها ونجاحها في سفك الدماء ، وتبني
الأطفال ، وهتك الأعراض ، وتخريب الديار ، وهدم معالم التوحيد ، وعبادة الرحمن ،
واستبدالها بالسجود للصور والصلبان ، وعبادة (ابن الانسان) وهو في الحقيقة من
كل ذلك يرى وعليه حافد قائم ، وما هم فيه الا متبعون أهواءهم وشياطينهم ، فلا حول
ولا قوة الا بالله (٢) انشئت أن تقرأ بحثاً مستفيضاً في هذه المسائل كلها فاقراً رسالتنا
« الإسلام » في الرد على الورد كروص

ظلمهم لنا، فهذه الاشياء - على فرض قبورها - ليست كالأشياء التي رووها هم أنفسهم عن المسيح وأشرنا الى بعضها هنا، والحكم عليها بالقبح مع ذلك ليس مما أجمع عليه العقل البشري كسائلهم تلك بل هي أمور اعتبارية، ألا ترى ان مسألة تسدد الزوجات في الاسلام هي من المسائل التي يختلف الحكم عليها باختلاف عادات البلاد واختلاف أذواق أهلها فهي اقل من مسألة الزوج عند بعض الأمم بالأقارب الأقرب بين مثلاً. فنحن وان كنا نستنظم ذلك الزوج بالأقربين ونستقبه ونعته إلا انه ليس من المسائل المجمع على قبورها بين سائر البشر، وكذلك عادة رقص النساء مع غير أزواجهن وابداء زينتهن لغير محارمهن هي عندنا قبيحة شنيعة وعند الأفرنج حسنة وتصل رسمياً في قصور ملوكهم، فالخلاف بيننا وبينهم نقول فيه كما قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف

فان قيل: اذا كانت هذه المسائل التي حكيتها عن المسيح صحيحة فما جواب المسلمين عنها وهي تنافي معتقدهم في المسيح الذي عظمه القرآن تعظيماً وان كانت كاذبة فهل يعقل أن الانجيليين وهم أحباب المسيح يخفرونها وينسبونها اليه كذبا لا قلت: اننا نقول ان كل هذه المسائل اختراعها الانجيليون أنفسهم بل نقول إنها روايات كاذبة اقتجرتها بعض أعداء المسيح الأولين من اليهود وغيرهم وروجوها بين أتباعه حتى اشتهرت وظنوها روايات صحيحة فدخات الغفلة على رواية النصرانية (حتى على كتاب الاناجيل) لشدة جهلهم وغباوتهم كما دخلت على كثير من محدثي المسلمين وكتاب السير منهم بعض أشياء من المناقذين والوضاعين توجب الطعن في محمد (ص) والاسلام مع الفرق العظيم بين رواية المسلمين ورواية غيرهم في نقد الحديث كما اعترف بذلك بعض علماء الأفرنج أنفسهم (راجع مثلاً كتاب « المسحاء الوثنيين » ص ٢٣٨ و ٢٣٩ مؤلفه المستر روبرتسن J. M. Robertson) . ومع ذلك فقد ترك بعض الانجيليين بعض هذه الاشياء ولم يشر إليها أو ذكرها - لذبوعها بين الناس - بطريقة مخففة لرفع الاشكال بقدر الامكان بحيث لا يبرى منها أصل القصة جلياً واضحاً الا بالرجوع الى الاناجيل كماها أو بعضها وأخذ عبارة فيها من هنا وعبارة من هناك حتى يتم فهم القصة، كسألة تردد المسيح على بيت مريم ومراثي قرية

(بيت عنيا) . فان علاقة المسيح بها وكونها عاهرتين يحبها المسيح ويكثر مخالفتها والبيت عندها إلخ انما يستتج ذلك كله من مجموع ما روي فيهما لامن واحد منهم فقط ومن أعظم الاسباب أيضا أن بعض هذه المسائل كان يوجد مثلها عند الوثنيين الداخلين في المسيحية كما يبناء في حاشية (صفحة ١٨٥) وقد تأصلت في نفوسهم فلم يبن عليهم تركها فأدخلوها في دينهم الجديد ليحبوا المسيح كأحد آلهتهم لكي لا يشعروا بالفرق الكبير بين الدينين - شأن البشر فيما ألقوه من آرائهم ومعتقداتهم - وقد قبل منهم أكثر النصارى ، أدخلوه جهلا منهم بمهتمة دينهم أو فرحا بهم وامتنانهم لهم لعلهم لا يرجعون

وربما كان فرض بعضهم أيضا من ذكر هذه المسائل إظهار أن المسيح - وهو عندهم ينزل من بشاء (او ٧ : ٤٧ - ٤٩) وقد أعطى هذه السلطة لتلاميذه أيضا كما سبق (مت ١٨ : ١٨ و يوح ٢٠ : ٢٣) - فوق التاموس والشرعية وغير متبد بها وله أن يتصرف فيها كما يشاء وينعل ما شاء لانه هو واضعها - على زعمهم - وشارعها للناس (١) وأنه اذا اقترب من المعاصي فلا يقع فيها الا بعثيته ولحكمة نجلها ، ولذلك ترى ان أكثر مثل هذه القصص التي أريد بها غالبا إظهار كبريائه وعدم ميلاته بالتاموس وأنه فوق كل شيء ، واردة في الإنجيل يوحنا دون غيره أو مستوفاة فيها أكثر ، وهو

(١) حاشية : هذا لا يدل على أنهم كانوا يعتقدون ألوهيته حقيقة لانهم يقولون إن ذلك ما أعطاه الله إياه كالفدرة على الخلق وغيره (أنظر يو ١٤ : ٢٤ و ٣٠ : ٥) وقال يوحنا أيضا (٣ : ٣) (الاب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده) وهو صريح كما قلنا مرارا في أن الله هو الذي أعطاه كل شيء فهو عند كتاب العهد الجديد ليس إلها لذاته . فان قيل لعل هذا القول في { الابن } باعتبار الناسوت . قلت ان هذا الناسوت باعتراق النصارى عاجز جاهل كباقي البشر وليس في يده شيء وهو أيضا حادث ولم يخلق شيئا من العالم ، وانما الذي في يده - بزعمهم - كل شيء وخلق العالم { يو ١ : ٣ } هو { الله الابن } وهذا بنص الإنجيل لم تكن له القدرة من ذاته بل الله هو الذي دفنها له كما قال يوحنا وغيره (أنظر أع ٢ : ٢٢ وأف ١ : ٢٢ و ١ كو ١٥ : ٢٧ و ٢٨ ومع ١١ : ٢٧) فكيف إذا يكون إلها حقيقيا مساويا للأب في كل شيء كما يزعمون ؟

الانجيل الذي ذكر أيضا (٧: ٨ - ١١) قصة عدم رجم المسيح لازانية وتفضيه شريعة موسى في ذلك (لا ٢٠ : ١٠) (راجع أيضا يو ٤ : ٩ - ٣٠) وأما عبارة انجيل لوقا (٩ : ٥٦) التي تشبه في المبدأ مسألة الرجم هذه فقد وجدوا أنها متروكة من بعض النسخ القديمة وهو دليل على زيادتها فيه ليجمعوا انجيل لوقا كانجيل يوحنا (أنظر يو ٣ : ١٧ و ١٢ : ٤٧) فيجوز أن يكون اختراع هذه المسائل والتخصيص هو لمثل ذلك الغرض (أي إظهار أنه فوق الناموس وأنه أكبر من كل شيء) وإن كان هذا الاختراع قد أدى إلى عكسه فذم الناس المسيح ذمًا شنيعًا بسبب ما نسب إليه ، ولكن كتابهم ما كانوا ينتظرون حصول هذه النتيجة المهرزقة . وأيضًا فقد كان الاستهزاء بالشريعة الموسوية وعدم المبالاة بها وبأحكامها أكبر ماسعى إليه بولس وتبعه في ذلك كثير من الأمم لسهولة كما هو معلوم ، فلذا قالوا عن المسيح ما قالوا فإن عبادتهم كانت أقرب إلى الإباحية والاشتراكية من أي شيء آخر كما سبق (أنظر صفحة ٥٩ و ١٠٥ و ١٨٧)

أما غرضنا نحن من ذكر هذه المسائل هنا ، فإننا نبرأ منها إلى الله مرارًا ونفخر منها طباعا والاسلام يحرم علينا نسبتها إلى عيسى عليه السلام ويوجب علينا التأديب في حقه وحق سائر الأنبياء - فهو أن نظهر أننا يمكننا أن نقابل النصارى بالمثل لولا ديننا وآدابنا وأن نبري متمصبيهم أن الطعن في محمد عليه السلام بالروايات الضعيفة والاحاديث الموضوعية أو بالمسائل المختلف بيننا وبينهم في قبورها وحسنها ليس من العقل ولا من الانصاف في شيء ، وعندهم في أنجيلهم القانونية (لا الموضوعية) ما يوجب الطعن في المسيح بأشد مما يوجد عندنا في محمد ، حتى نفر عقلاؤهم وعلمائهم في أوربة من المسيح والمسيحية ، ومن كان في بيت من زجاج لا يلبق به أن كان عاقلا أن يربي بالحجارة الساكبين في بيوت من حديد .

وما تقدم ترى أن الاعتقاد بهذه الأناجيل ضار بمقام المسيح عليه السلام ضررًا بليغا ولا خلاص للناس من كل الأشكالات المتقدمة وغيرها التي أوقعت المفكرين والعقلاء في الاتحاد الأبتدائية هذه الكتب والاعتقاد بالقرآن الشريف فإنه هو الذي برأ المسيح - بالحق - من كل عيب ومن كل دعوة إلى عقيدة باطلة

ورفع مقامه رفعا حقيقيا عاليا . اما هذه الاناجيل فقد جعلته من حيث لا تشعر وهي تسعى في تأليهه بنسبة اقوال اليه تدل لو صححت ولن تصحح - على جنون قائلها لشدة بساطة كاتبها وبمدهم عن العلم الصحيح والمقل وشدة تأثرهم بالوثنية ، ومع ان رواية هذه الاناجيل هي عند النصارى اصح الروايات بل مكتوبة بالوحي الالهي ، فقد رأيت ما تؤدي اليه من نسبة ما لا يليق الى المسيح وهو منه براء عليه السلام . فكيف يكون الحال اذا علمنا النصارى كما يعلموننا في طعنهم في محمد (ص) وأخذهم بكل سخيف ضعيف من الروايات ؟ ولكن ديننا يحمول بيننا وبين ذلك ، وهو أيضا لا يقيس لنا لأنهم أضاعوا الروايات الاخرى وأغلب الاناجيل ولم يبق الا ما وافق آراءهم وأهواءهم ، ومع ذلك فنهن قد أخذنا بأصح رواياتهم في اعتقادهم وأريانا كيف تؤدي الى الطعن في المسيح عليه السلام ، وهم إنما يأخذون بأضعف الروايات - ندنا وأسخطها بل بالموضوع منها وأحيانا يقتجر بعضهم الروايات لنا افتجارا ، فهل أمكنهم ذلك كله نسبة شيء قبيح قبيحا حقيقيا لمحمد (ص) (١) كذلولته بالزانيات

(١) هذا مع انحطاط الوسط الذي نشأ فيه محمد صلى الله عليه وسلم من أكثر الوجوه من الوسط الذي نشأ فيه المسيح حيث كانت توجد شرائع اليهود وكتبهم الدينية وآداب اليونان والرومان وكتبهم العلمية والفلسفية وغيرها . وأما أهل مكة والعرب عموماً فكانوا وثنيين جاهلين منتمين في الشهوات كالخمر وحب النساء وفي سفك الدماء وواد البنات والسلب والنهب والاذى والقسوة ففاقهم محمد جميعاً بدرجات عالية منذ صغره وكان مثال السكالم بينهم في كل شيء . وأما المسيح فلا نعلم في أي شيء فاق قومه بحسب هذه الاناجيل وجميع تعاليمه الحسنى توجد في كتب اليهود وغيرهم من قبل كما بينه كثير من علماء الافرنج أنفسهم كما ذكرنا سابقاً (واجم ص ١١٨ - ١٢٠ من هذه الرسالة) نعم نحن لا نتكبر أنه نشر هذه التعاليم العالية بين عامة اليهود علما وعملا بعد أن كانت في كتبهم لا يقرؤها الا بعض خاصتهم وينسدر وجود من يسلم بها كانوا منهم ولذلك قال تعالى فيهم (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) وبسبب عيسى (ص) انتشرت بين العامة والخاصة حتى عرفت في العالم الروماني كله واشتهرت بين الناس الى اليوم ، ولما كانت مشوبة بشوائب كثيرة حاول بعضهم كالفيلسوف نوبلستوي تحجيدها منها

وجه من وتردده عليهم مرارا هو وتلاميذه ودلكين قدميه بالطيب ودهن رأسه به ومسح وجباهه بشهورهن، وعدم انكاره على الناس شرب الخمر ومساعدتهم على ذلك بل فرضه عليهم وسكره، وتجرده من ملابسه مرة أمام تلاميذه وعشيقه لاجدهم واجلاس له في حضنه، وكذبه على اخوته، وعقوقه والدته ومنعه تلميذه من دفن أبيه، وحده على كل من لم يؤمن به الخ وهو هم ذلك كله فقير مسكين ضعيف مضطهد، قنا بائس اذا أوتي ما أوتي محمد من الملك والعز والمجد والوظيفة وسعة الرزق وطول العمر .

وقد حث عيسى تلاميذه - وهو ضعيف - على انتاوة للدفاع عنه وحمل السيوف واستمالها في ذلك وأمر الناس كافة بقتل آباءهم وسائر أقاربهم الاقرب بن وإلقائه الشقاق والحرب والتفريق بينهم، ثم إن أعظم تعاليمه موجبة لضعة النفس والنذل، وهي ليست عملية ولا يمكن إطلاعها وفيها من الغلو، وفيها وتؤدي الى خراب هذا المجتمع - بل القيام بعضها مستحيل حتى عليه هو نفسه كحجة الاعداء وهو نفسه لم يحجم بل كان يسبهم سباشنيا (مت ٢٣: ١٣ - ٣٦) ويحتمد عليهم وما منعه من الانتقام منهم الا ضعفه كما بينا - ومن ذلك حثه الناس على بذل «جميع» مالهم للفقراء وعلى عدم اهتمامهم بشؤون الحياة وترك العمل (١) (مت ٥: ٤٤ و ٦: ٢٥ و ١٩: ٢١ - ٢٥)

(١) مقتضى هذه التعاليم (مت ٦: ٢٥ - ٣٤) و (لو ١٢: ٢٢ - ٣١) أن لا يهتم الانسان بشيء من حاجاته الجسدية من أكل وملبس ومشرب ومسكن وأن يهملها كلها وعلى ذلك تكون قذارة القلوب وورثته ووساخة الجسد والمسكن وفساد هوائه والفقير من المستحبات ودلائل التوكل والايان في المسيحية . فمن من التصارى يعمل بهذه الاوامر؟ واذا عملوا بها فكيف تكون حالتهم الصحية؟ وهل هذه التعاليم تساعد على الاكتشافات والاختراعات وترقي العلوم الطبيعية والهندسية والاجتماعية والاقتصادية والنظامات الدستورية وغيرها من علوم العمران والحضارة والمدنية الاجتماعية؟ وما حاجة الناس الى هذه العلوم اذا واهمال الجسد والنذل والفقير والكسل عن كل عمل دنيوي من أعظم دلائل الفضيلة والطاعة والايان والتوكل على الله بحسب الانجيل؟ وهل اتهام متعصي التصارى الاسلام بأنه هو السبب في قذارة المدن وفساد هوائها وضعف صحة أهلها وخرابها واستبداد ملوكها صحيح أم هو مقتضى تعاليم المسيحية التي أخذ بها متصوفو المسلمين ثم عنتهم كلهم حتى أصبحوا أشد تمسكا بها من أهلها الذين أهملوها =

وهضنه لهم على عدم التزوج وعلى الخصاص (مت ١٩: ١١ و ١٢) وايضا به المطاعة العمياء

البتة حتى ضرب بينهم وبينها بسور من حديد كما هو مشاهد في كل زمان ومكان. قارن عبارات كتبهم هذه بقول القرآن (قل انظر واماذا في السموات والارض) وقوله (وكأين من آية في السموات والارض يرون عليها وهم عنها معرضون) وقوله (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه) الآية ونحو ذلك كثير سنذكر بعضه وقول المسيح بحسب رواية لوقا (١٢: ٧٢-٧٣) «لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون ولا للجسد بما تلبسون تأملوا الغراب انها لا تزرع ولا تحصد وليس لها مخدع ولا مخزن والله يقيتها . كم أنتم بالحري أفضل من الطيور فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ولا تفتقروا بل اطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تزداد لكم) . فضلا عما فيه من الحض الصريح على ترك السعي والعمل والجهد والاجتهاد في الدنيا هو أيضا غير صحيح فان سنة الله في هذا السكون أن الانسان اذا ترك السعي والعمل خسر كل شيء ، ولو طلب ملكوت الله كل يوم الف مرة لما زيد له شيء من مطالب الحياة الا اذا أصبح عالة على الناس يحسنون اليه بشيء من كدهم وعملهم حتى اذا ورث شيئا وترك العمل فيه خسره تدريجيا الى أن يفقده . فاذا اتبع جميع الناس هذه التعاليم أكان العالم يصل الى ما وصل اليه من الرقي والتقدم ؟ وهل ما وصل اليه الا فرنج الآن هو بفضل هذه التعاليم المسيحية كما يدعي المبشرون ؟ ومن منهم يعمل بها الا أهل البطالة والكسل أو الشمعاذون ؟ وهل هذه الاوامر تنفق مع سنن الوجود ؟ فليجربها من شاء منهم وليترك الاهتمام والعمل ثم ليرنا أي شيء زيد له من مطالب الحياة ؟ أما القرآن الشريف فقال (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وقال (قامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) وقال (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتموا من فضل الله) وقال (املكم تفكرون في الدنيا والآخرة) أي في أوردتها معا وما به صلاحهما فأين الثريا من الثرى ؟

وقال القرآن الشريف أيضا (من كان يريد المأجلة عجبانا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم بما لاها مذموما ممدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) ونحوه في القرآن كثير وهو يفيد أن من أراد الدنيا وسعى لها سعيها أو غيرها

والخضوع للرؤساء بلا قيد ولا شرط لشدة خوفه من قياصرة الرومان، ونصه على أن

== ولو كان كافر أو من أواد الآخرة كذلك أوتيتها وأما من لم يرد الدنيا ولم يعمل لها فلا يؤتى منها ما يؤتاه العالمون ولو كان صالحاً تقياً طالباً لملكوت الله وهو الحق كما هو شاهد بخلاف قول الأنجيل فإنه يفيد أن من طلب الآخرة ولم يطلب الدنيا أوتي الدنيا أيضاً. وقال القرآن (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) فطلب الدنيا شيء وطلب الآخرة شيء آخر ولا يهبطهما إلا من طلبهما معاً ولا يقني طلب الآخرة وحدها عن طلب الدنيا كما هو صريح الأنجيل فإن ذلك يخالف لسان الكون المعروف، وقد كانت هذه الأفكار المسيحية من أسباب تأخر المسلمين فإنها أثقلت اليهم من دخل في دينهم من النصراني الأولين وفشت فيهم مع ترك النصراني أنفسهم لها منذ أن ارتقوا ولو اتبعوها لتركوا كل عمل وكرهوا الحياة الدنيا وعدوها سبحانه لهم يجب الخلاص منه بالتجرد عنه حتى يموت الإنسان كبعض أهل الهند!! وهي مبادئ لا تتفق مع مبادئ القرآن في شيء كما لا يخفى على الباحثين. رسم في المدن الأوروبية أوفي الأحياء الأفرنجية الشرقية، في أيام الأساطرة، أو الأعياد، وانظر إلى جمال الأفرنج والأفرنجيات وتأنيقهم وجمال مساكنهم وملابسهم ومشاورتهم وما كانوا يفتخرون به من أنواع الآلات والشهوات والمسرات وخصوصاً التمتع بالنظر إلى الكاسيات، العاريات، من الفتيات الحسنات، والفتيات الفاتحات الكعابت، الأبيكار والبيبات، وقل لي بأبيك في أي شيء تنفق هذه المدنية الأوروبية (أو الرومانية باعتبار أصلها) مع التعاليم المسيحية الحقة على الفقر والتعفف وترك مطالب الحياة وإهمالها كلها، والحفاضة على الزهد في الدنيا والناحية عن الاعتناء بالجسد والآخرة بطلب الخبز الكفاف من الله يوماً بيوم (مت ٦: ١١) والمحرمة النظر بشهوة إلى الأجنبية (مت ٥: ٢٨) مع أنه لا توجد أساءة في الدنيا تبدي من الخلاعة والزينة وكشف أجزاء من أجسامهن واختلاطهن بالرجال والرقص معهم وتبادلن مما كؤوس بنت الكروم أكثر من الأفرنجيات المسيحيات!! فبأي حق أو عقل يصحون هذه المدنية الأوروبية بالمسيحية وبينهما كما بين السماء والأرض، إني والله لا أجد في الدنيا اسماً كاذباً من هذا الاسم. ولا يصح اعتبار المسيحية الدين الكامل للبشر الحناني لهم بل كان فقط درجة تهودية في ذلك الزمن زمن يهد اليهود عن روح الدين وتلقاهم بشوره وانتشار المدنية الرومانية وما فيها من الأسراف والترف والملاذ والأغراق في اللذات مع عدم ارتقاء العقل البشري إلى الدرجة التي أوتيت فيها بعد فأنتم ==

سلطنتهم هي من الله (مت ٢٢: ١٥- ٢٢ و يوحنا ١١: ١٩) ولذلك قال بولس إبتاعا له
«ان من قاومهم فقد قاوم ترتيب الله وسيأخذ نفسه دينونة» (رو ١٣: ١ و ٢) (١)

= المسيحية بالولاء أيضا لتقدر به على مقاومة كل ذلك وتتهيء النفوس لقبول الاصلاح
الاسلامي الختامي الجامع بين مصالح الدين والدنيا ومطالب الروح والجسد والحالي من
الافراط والتفريط لعدم حاجة الناس في زمنه الى غلو المسيحية لارتقاء العقول والنفوس
عن ذي قبل فيكفيها الاعتدال في بيان الحقيقة على أكمل أوجهها، فهذا هو سبب اختلاف
المسيحية عن الاسلام في أوامرها وتعاليمها فانها لا تناسب الأزمان ولكن الاسلام صالح لكل
زمان ومكان ولذلك تجده أقرب الى الفطرة البشرية والمقل من كل دين آخر ولا نجد سواه
يتفق مثله مع أصول المدنية الصحيحة والحضارة والعمران والعلم. والذي يدل على ارتقاء
الناس في الجملة علما وعقلا ونفسا في عهده عن ذي قبل (مع أن ذلك من مقررات
علم الحديث القائل بتأخر عن المتقدم) أنهم كانوا أبعد عن الوثنية، أميل الى
التبزيه والتوحيد، وكان عندهم ميل شديد ورغبة عظيمة في البحث والنقد والتجسس
حتى حفظت أصول ديننا كلها بدون تحريف ولا تبديل، وقد بلغوا في علم النقد
والفلسفة العقلية مبلغا لا نكون كاذبين اذا قلنا ان الافرنج الى الآن لم يساووهما تماما
في ذلك، ولذلك جاءهم الدين خاليا من التكليف بالمحال ومن الفلوس، معتدلا في جميع
ما شرعوا به، لأنهم كانوا قد ارتقوا عن درجة الطفولية التي كانوا فيها من قبل وأصبح
عندهم من التمييز والعقل وقوة الإرادة ما لم يكن عند الاولين، ولو جاءت المسيحية
معتدلة مثله لما كان لها ما كان من التأثير في تلك العقول الضعيفة، والنفوس الصغيرة،
ولبقي الناس حيث كانوا، فبارك الله أحكم الشارحين

(١) قارن ذلك بقول القرآن التشرية (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي
الامر منكم) (لاحظ قوله هنا «منكم») فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول
وهو صريح في أن طاعة أولي الامر لا تجب علينا الا فيما لا يخالف الدين فان اشبه علينا
الأمر جاز لنا أن نتوقف وتنازعهم فيه ووجب أن نرده إذا الى الله ورسوله (أي ان
كان حيا) حتى لا نفعل الا بما وافق الدين وهو يدل على وجوب العمل بالقياس والاستنباط
المبينين على العقل والتفكير فيما أوحاه الله لنا. والرد الى الرسول في زمنه واجب لأنه
عليه الصلاة والسلام كان أمثلهم وهو أدري الناس وأعلمهم بأمر الله وشرعته ومع ذلك فهو
مأمور بالشورى بمن قوله تعالى (وشاورهم في الامر فإذا عزمت فتوكل على الله)

= ولذلك كان عليه السلام يستشير أصحابه وكان منهم من يمارضه في أفكاره وآرائه حتى كان يرجع عن رأيه لرأيهم ولكن إذا قرر شيئاً بعد الشورى وبعد النظر في الكتاب العزيز ولو خالفهم فيه وجب الاذعان له واطاعته فانه كان يرى مالا يرويه ولذلك قال تعالى (فردوه الى الله والرسول) وازد اليه خاص بزمنه وفي القرآن نحو ذلك من الآيات كثير كقوله تعالى (لا تجادلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) وقوله (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) وقوله (اذا ناجم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) أما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فورد الامر كله الى كتاب الله أو الى باعلم منه صلى الله عليه وسلم باليقين ، والذين يردون الامر هم نواب الامة ورؤسائها وأولياء أمرها لقوله تعالى (ولو ردوه الى الرسول وإلى أولي الامر منهم) لعله الذين يستنبطونه منهم) فالمستنبطون الامر من كتاب الله هم هؤلاء الناس الخاصة من المؤمنين لا العامة منهم ويجب عليهم في مجتمهم واستنباطهم مشاورة بعضا بعضا بحيث لا يستبد أحد بالامر فيهم لقوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) فاذا قرروا شيئاً بعد ذلك وجب على عامة الامة اطاعته ما لم يكن مخالفاً لدين الله فان ذلك بالضرورة لا يكون مستنبطاً منه ، واذا اختلف هؤلاء المستنبطون مما وتساوي عددهم ولم يمكن الترجيح بينهم كان للامة الحق في أن تسأل بما تراه من آرائهم أقرب الى نصوص الدين . هذا هو ما يستفاد من مجموع آيات القرآن في هذا الباب فأى مبادئ أدعى من هذا الى العدل ومنع الاستبداد واجباب الشورى والتفكر والحريّة وعزة النفس ؟ وأي فرق ينهين نظمات أرقى أم العالم الحالي النيابية الدستورية ؟ وإلى أي الدينين (الاسلام أم المسيحية) ترى أن مبادئ هذه الامة الراقية أقرب أو أشبه ؟ وأنت ترى أن المسيحية توجب عليك الخضوع للسلطين ولو كانوا ظالمين وتعتدلى أن سلطتهم هي من الله وأن من قاومها فقد قاوم الله واستحق عقابه كما قال بولس إرضاء لقوة الحاكمة في زمنه وتماقاً لها كهاتيه (روم ١٣ : ١-٧) وقال بطرس أيضاً (١ بط ٣ : ٢) (فاحضنوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب . إن كان للملك فكمن هو فوق الكل ١٤ أو للولاة فكمرسلين منه الاتقام من فاعلي الشر وللمدح لفاعلي الخير الى قوله ١٨ أيها الخدام (أي المبيد) كونوا خاضعين بكل هيبة لاسادة ليس للمصالحين المترفين فقط للعباء أيضاً) فان ذلك من القرآن الذي قال (ولا يصيبك في معروف) وقال (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقال (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) والذي =